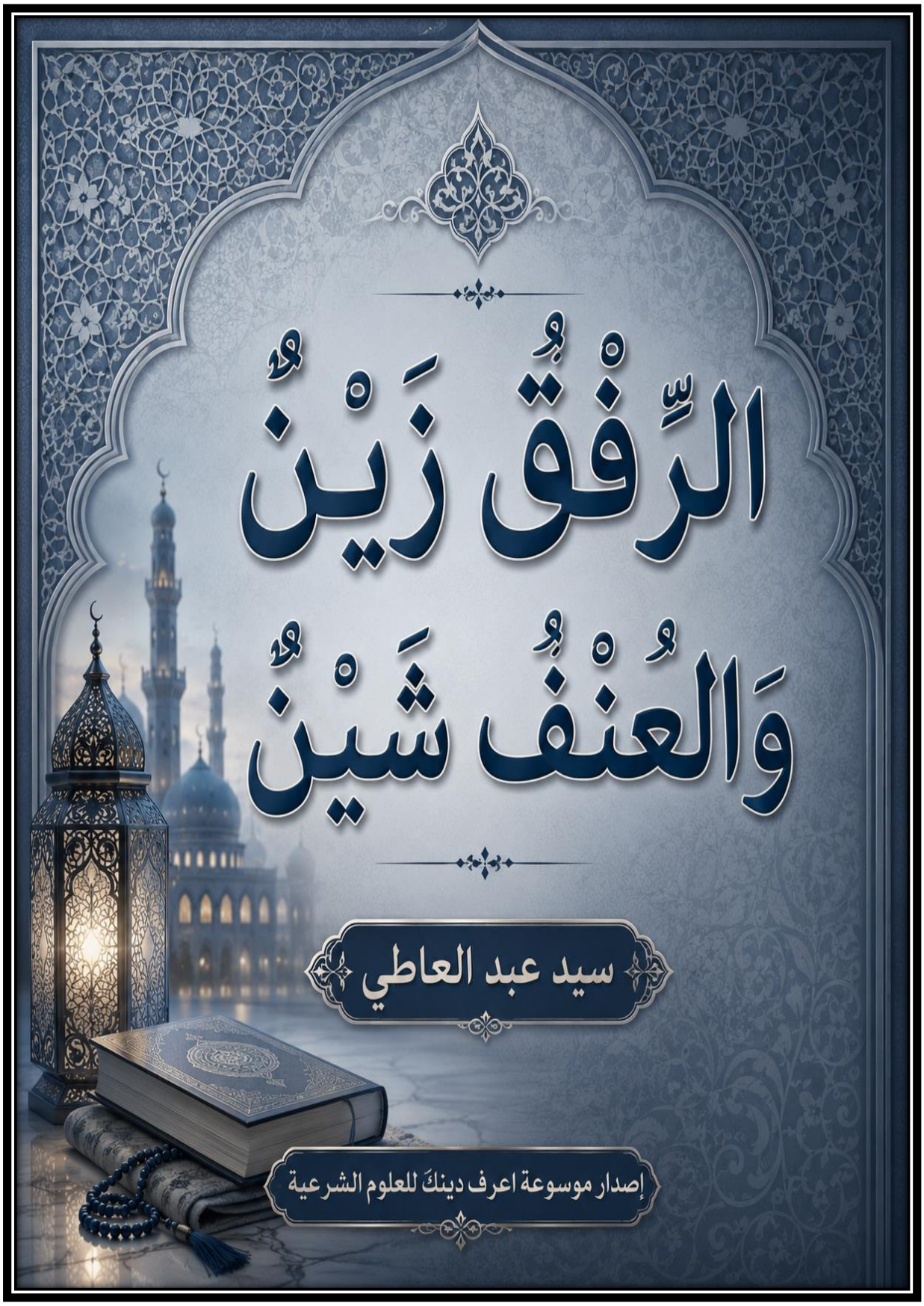
الرِّفْقُ زَيْنٌ
وَالعُنْفُ شَيْنٌ
سيد عبد العاطي
إصدار موسوعة اعرف دينكَ للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرفق زين

والعنف شين

سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ، وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا أَسْدَاهُ وَأَوْلَاهُ مِنَ الإِنْعَامِ وَالإِكْرَامِ وَالخَيْرِ الكَثِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَلَدَ وَلَا ظَهِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ السِّرَاجُ المُنِيرُ، وَالبَشِيرُ النَّذِيرُ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ عَلَى سَبِيلِهِ إِلَيْكَ يَسِيرُ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

- فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-أَنَّ الرِّفْقَ زَيْنٌ وَالعُنْفَ شَيْنٌ،فَزِينَةُ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ فِي الرِّفْقِ بَيْنَمَا العُنْفُ فَسَادٌ لِلأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ وَجَالِبٌ لِلنُّفُورِ وَالبُعْدِ،مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ المُخْتَصَرَةَ وَعَنَّوَنْتُ لَهَا بِهَذَا العُنْوَانِ { الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ } لِأُبَيِّنَ مَنْزِلَةَ الرِّفْقِ فِي الإِسْلَامِ كَخُلُقٍ عَظِيمٍ يُزَيِّنُ وَيُجَمِّلُ الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالَ وَالسُّلُوكِيَّاتِ وَالمُعَامَلَاتِ،فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ:

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ–سيد عبد العاطى

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الرِّفْقِ:

(أ) مَعْنَى الرِّفْقِ لُغَةً:

-الرِّفْقُ: ضِدُّ العُنْفِ، وَهُوَ لِينُ الجَانِبِ، وَيُقَالُ: رَفَقَ بِالأَمْرِ وَلَهُ وَعَلَيْهِ يَرْفُقُ رِفْقًا وَمِرْفَقًا: لَانَ لَهُ جَانِبُهُ وَحَسُنَ صَنِيعُهُ. وَرَفَقَ يَرْفُقُ وَرَفِقَ: لَطَفَ، وَرَفَقَ بِالرَّجُلِ وَأَرْفَقَهُ بِمَعْنًى، وَكَذَلِكَ تَرَفَّقَ بِهِ.

(ب) مَعْنَى الرِّفْقِ اصْطِلَاحًا:

-قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي تَعْرِيفِ الرِّفْقِ:{ هُوَ لِينُ الجَانِبِ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، وَالأَخْذُ بِالأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ العُنْفِ }.

-وَقَالَ الإِمَامُ القَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{ هُوَ المُدَارَاةُ مَعَ الرُّفَقَاءِ، وَلِينُ الجَانِبِ، وَاللُّطْفُ فِي أَخْذِ الأَمْرِ بِأَحْسَنِ الوُجُوهِ وَأَيْسَرِهَا }.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

• ثَانِيًا:الرِّفْقُ عَلَى مَائِدَةِ القُرْآنِ:

-وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي بَيَانِ مَنْزِلَةِ الرِّفْقِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }.(آلُ عِمْرَانَ:١٥٩).

-أَيْ: بِرَحْمَةِ اللهِ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ أَنْ أَلَنْتَ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَتَرَفَّقْتَ عَلَيْهِمْ، وَحَسُنْتَ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ وَأَحَبُّوكَ، وَامْتَثَلُوا أَمْرَكَ.

-{ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا } أَيْ: سَيِّئَ الخُلُقِ { غَلِيظَ القَلْبِ }- أَيْ: قَاسِيَهُ، { لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرُهُمْ وَيُبَغِّضُهُمْ لِمَنْ قَامَ بِهِ هَذَا الخُلُقُ السَّيِّئُ.

-فَالأَخْلَاقُ الحَسَنَةُ مِنَ الرَّئِيسِ فِي الدِّينِ، تَجْذِبُ النَّاسَ إِلَى دِينِ اللهِ، وَتُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهِ مِنَ المَدْحِ وَالثَّوَابِ الخَاصِّ، وَالأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِنَ الرَّئِيسِ فِي الدِّينِ تُنَفِّرُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، وَتُبَغِّضُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهَا مِنَ الذَّمِّ وَالعِقَابِ الخَاصِّ، فَهَذَا الرَّسُولُ المَعْصُومُ يَقُولُ اللهُ لَهُ مَا يَقُولُ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ؟! أَلَيْسَ مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبَاتِ، وَأَهَمِّ المُهِمَّاتِ، الاقْتِدَاءُ بِأَخْلَاقِهِ الكَرِيمَةِ، وَمُعَامَلَةُ

النَّاسِ بِمَا يُعَامِلُهُمْ بِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنَ اللِّينِ وَحُسْنِ الخُلُقِ وَالتَّأْلِيفِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَجَذْبًا لِعِبَادِ اللهِ لِدِينِ اللهِ.

-ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فِي التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ اللهِ، فَيَجْمَعَ بَيْنَ العَفْوِ وَالإِحْسَانِ.

[٢٠٢٦/٠٧/٠٨ ١١:٥٠ ص] سيد عبد العاطى: -{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } أَيْ: الأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشَارَةٍ وَنَظَرٍ وَفِكْرٍ، فَإِنَّ فِي الاسْتِشَارَةِ مِنَ الفَوَائِدِ وَالمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ:

-مِنْهَا: أَنَّ المُشَاوَرَةَ مِنَ العِبَادَاتِ المُتَقَرَّبِ بِهَا إِلَى اللهِ.

-وَمِنْهَا: أَنَّ فِيهَا تَسْمِيحًا لِخَوَاطِرِهِمْ، وَإِزَالَةً لِمَا يَصِيرُ فِي القُلُوبِ عِنْدَ الحَوَادِثِ، فَإِنَّ مَنْ لَهُ الأَمْرُ عَلَى النَّاسِ -إِذَا جَمَعَ أَهْلَ الرَّأْيِ: وَالفَضْلِ وَشَاوَرَهُمْ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الحَوَادِثِ- اطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُمْ وَأَحَبُّوهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَبِدٍّ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى المَصْلَحَةِ الكُلِّيَّةِ العَامَّةِ لِلْجَمِيعِ، فَبَذَلُوا جُهْدَهُمْ وَمَقْدُورَهُمْ فِي طَاعَتِهِ، لِعِلْمِهِمْ بِسَعْيِهِ فِي مَصَالِحِ العُمُومِ، بِخِلَافِ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يُحِبُّونَهُ مَحَبَّةً صَادِقَةً، وَلَا يُطِيعُونَهُ وَإِنْ أَطَاعُوهُ فَطَاعَةً غَيْرُ تَامَّةٍ.

-وَمِنْهَا: أَنَّ فِي الاسْتِشَارَةِ تَنَوُّرَ الأَفْكَارِ، بِسَبَبِ إِعْمَالِهَا فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ، فَصَارَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ لِلْعُقُولِ.

-وَمِنْهَا: مَا تُنْتِجُهُ الاسْتِشَارَةُ مِنَ الرَّأْيِ: المُصِيبِ، فَإِنَّ المُشَاوِرَ لَا يَكَادُ يُخْطِئُ فِي فِعْلِهِ، وَإِنْ أَخْطَأَ أَوْ لَمْ يَتِمَّ لَهُ مَطْلُوبٌ، فَلَيْسَ بِمَلُومٍ، فَإِذَا كَانَ اللهُ يَقُولُ لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا-: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ؟! ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { فَإِذَا

عَزَمْتَ } أَيْ: عَلَى أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ بَعْدَ الاسْتِشَارَةِ فِيهِ، إِنْ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشَارَةٍ { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ } أَيْ: اعْتَمِدْ عَلَى حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، مُتَبَرِّئًا مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ } عَلَيْهِ، اللاجِئِينَ إِلَيْهِ.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

• تَبْصِرَةٌ:

-قِيلَ هَذَا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ المُؤَيَّدُ بِالوَحْيِ، وَالمَشْهُودُ لَهُ بِالخُلُقِ العَظِيمِ، وَالمَبْعُوثُ إِلَى خَيْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَمَا بَالُكَ بِغَيْرِهِ؟! رِفْقًا أَيُّهَا الدَّاعِيَةُ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ تَبْلِيغَ الحَقِّ لَا يُسَوِّغُ الفَظَاظَةَ، وَلَسْتَ بِأَحْرَصَ عَلَى البَلَاغِ مِنْ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَقَدْ كَانَ فِي دَعْوَتِهِ لَطِيفًا رَحِيمًا.

-حُسْنُ خُلُقِ الدَّاعِيَةِ يَجْذِبُ النَّاسَ إِلَى دِينِ اللهِ، مَعَ مَا لَهُ مِنَ المَدْحِ، وَسُوءُ خُلُقِهِ يُنَفِّرُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، مَعَ مَا لَهُ مِنَ الذَّمِّ.

-أَمَرَ البَارِي نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَعْفُوَ عَمَّنْ أَخْطَأَ بِحَقِّهِ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّ رَبِّهِ حَتَّى يَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ، وَفِي هَذَا مُرَاعَاةُ حَقِّ اللهِ وَحَقِّ الخَلْقِ.

-إِذَا كَانَ اللهُ يَأْمُرُ رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا، فَمَنْ دُونَهُ بِذَلِكَ أَوْلَى.

-عَدُوُّ النَّجَاحِ أَمْرَانِ: سُوءُ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالحَيْرَةُ وَالتَّرَدُّدُ، أَمَّا سُوءُ الرَّأْيِ فَتُقَوِّمُهُ الشُّورَى، وَأَمَّا التَّرَدُّدُ فَيَدْفَعُهُ العَزِيمَةُ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ.

-مَنْ جَعَلَ تَوَكُّلَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَحَبَّهُ وَسَدَّدَهُ وَأَعَانَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ خَذَلَهُ وَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ بِطَائِلٍ.

(٢) وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا الرَّسُولَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.(الشُّعَرَاءُ: ٢١٥).

-{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ } بِلِينِ جَانِبِكَ، وَلُطْفِ خِطَابِكَ لَهُمْ، وَتَوَدُّدِكَ، وَتَحَبُّبِكَ إِلَيْهِمْ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ وَالإِحْسَانِ التَّامِّ بِهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ }.فَهَذِهِ أَخْلَاقُهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[٢٠٢٦/٠٧/٠٨ ١١:٥٠ ص] سيد عبد العاطى: -، أَكْمَلُ الأَخْلَاقِ، الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مِنَ المَصَالِحِ العَظِيمَةِ، وَدَفْعِ المَضَارِّ، مَا هُوَ مُشَاهَدٌ، فَهَلْ يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَدَّعِي اتِّبَاعَهُ وَالاقْتِدَاءَ بِهِ، أَنْ يَكُونَ كَلًّا عَلَى المُسْلِمِينَ، شَرِسَ الأَخْلَاقِ، شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ عَلَيْهِمْ، غَلِيظَ القَلْبِ، فَظَّ القَوْلِ، فَظِيعَهُ؟ وَ إِنْ رَأَى مِنْهُمْ مَعْصِيَةً، أَوْ سُوءَ أَدَبٍ، هَجَرَهُمْ، وَمَقَتَهُمْ، وَأَبْغَضَهُمْ، لَا لِينَ عِنْدَهُ، وَلَا أَدَبَ لَدَيْهِ، وَلَا تَوْفِيقَ، قَدْ حَصَلَ مِنْ هَذِهِ المُعَامَلَةِ، مِنَ المَفَاسِدِ، وَتَعْطِيلِ المَصَالِحِ مَا حَصَلَ، وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُهُ مُحْتَقِرًا لِمَنِ اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ، وَقَدْ رَمَاهُ بِالنِّفَاقِ وَالمُدَاهَنَةِ، وَقَدْ كَمَّلَ نَفْسَهُ وَرَفَعَهَا، وَأُعْجِبَ بِعَمَلِهِ، فَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ، وَتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ وَخِدَعِهِ لَهُ.

• تَبْصِرَةٌ:

-بِمِثْلِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلْيَأْتَسِ الدُّعَاةُ فِي الرِّفْقِ بِالمُؤْمِنِينَ، وَالتَّوَاضُعِ لَهُمْ، وَالتَّلَطُّفِ مَعَهُمْ، وَلِينِ القَوْلِ لَهُمْ.

(٣) وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }.(طَهَ: ٤٣-٤٤).

-قَوْلُهُ:{ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا } أَيْ: سَهْلًا لَطِيفًا، بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَأَدَبٍ فِي اللَّفْظِ مِنْ دُونِ فُحْشٍ وَلَا صَلَفٍ، وَلَا غِلْظَةٍ فِي المَقَالِ، أَوْ فَظَاظَةٍ فِي الأَفْعَالِ، { لَعَلَّهُ } بِسَبَبِ القَوْلِ اللَّيِّنِ { يَتَذَكَّرُ } مَا يَنْفَعُهُ فَيَأْتِيهِ، { أَوْ يَخْشَى } مَا يَضُرُّهُ فَيَتْرُكُهُ، فَإِنَّ القَوْلَ اللَّيِّنَ دَاعٍ لِذَلِكَ، وَالقَوْلَ الغَلِيظَ مُنَفِّرٌ عَنْ صَاحِبِهِ، وَقَدْ فُسِّرَ القَوْلُ اللَّيِّنُ فِي قَوْلِهِ: { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى

(١٨)وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى }.(النَّازِعَاتُ:١٨-١٩). فَإِنَّ فِي هَذَا الكَلَامِ، مِنْ لُطْفِ القَوْلِ وَسُهُولَتِهِ، وَعَدَمِ بَشَاعَتِهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى المُتَأَمِّلِ، فَإِنَّهُ أَتَى بِـ{ هَلْ } الدَّالَّةِ عَلَى العَرْضِ وَالمُشَاوَرَةِ، الَّتِي لَا يَشْمَئِزُّ مِنْهَا أَحَدٌ، وَدَعَاهُ إِلَى التَّزَكِّي وَالتَّطَهُّرِ مِنَ الأَدْنَاسِ، الَّتِي أَصْلُهَا، التَّطَهُّرُ مِنَ الشِّرْكِ، الَّذِي يَقْبَلُهُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ، وَلَمْ يَقُلْ(أُزَكِّيكَ) بَلْ قَالَ: { تَزَكَّى } أَنْتَ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ، الَّذِي رَبَّاهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي مُقَابَلَتُهَا بِشُكْرِهَا، وَذِكْرِهَا فَقَالَ: { وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلْ هَذَا الكَلَامَ اللَّيِّنَ الَّذِي يَأْخُذُ حُسْنُهُ بِالقُلُوبِ، عُلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْجَعُ فِيهِ تَذْكِيرٌ، فَأَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

• ثَالِثًا: الرِّفْقُ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ:

-وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ فِي بَيَانِ مَنْزِلَةِ الرِّفْقِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ البُخَارِيُّ بِرَقْمِ(٦٤٠١) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(٢١٦٥) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-:

{ أَنَّ اليَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ أَوِ

الفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ }.

• **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-الرِّفْقُ بِالنَّاسِ وَاللِّينُ مَعَهُمْ مِنْ جَوَاهِرِ عُقُودِ الأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرِّفْقَ.

[٢٠٢٦/٠٧/٠٨ ١١:٥٠ ص] سيد عبد العاطى: -وَفِي هَذَا الحَدِيثِ تُخْبِرُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ اليَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَالُوا:{ السَّامُ عَلَيْكَ }، يُوهِمُونَ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْ مَعَهُ أَنَّهُمْ يُلْقُونَ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةَ الإِسْلَامِ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ، وَالسَّامُ: المَوْتُ وَالهَلَكَةُ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ فَطِنَ لِقَوْلِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَقَالَ:{ وَعَلَيْكُمْ }، وَمَعْنَى جَوَابِهِ: وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ مَا قُلْتُمْ مِنَ الدُّعَاءِ.

-وَقَدْ فَطِنَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَيْضًا لِقَوْلِهِمْ، فَقَالَتْ:{ السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ }، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ لَفْظِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ }، أَيْ: تَمَهَّلِي وَاصْبِرِي وَتَرَفَّقِي فِي الأَمْرِ،{ وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ أَوِ الفُحْشَ }، أَيْ: يُحَذِّرُهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ التَّعَدِّي عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ، وَالعُنْفُ: الشِّدَّةُ عِنْدَ الأَخْذِ وَالرَّدِّ، وَيُقْصَدُ بِالفُحْشِ: التَّعَدِّي فِي القَوْلِ وَالجَوَابِ، لَا الفُحْشُ الَّذِي هُوَ مِنْ رَدِيءِ الكَلَامِ، وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ:{ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ }، أَيْ: يُحِبُّ أَنْ يَتَّصِفَ عَبْدُهُ بِلِينِ الجَانِبِ وَالأَخْذِ بِالسَّهْلِ؛ فَلَا يَكُونُ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، فَالرِّفْقُ تُتَأَتَّى بِهِ الأَغْرَاضُ، وَتَسْهُلُ بِهِ المَقَاصِدُ مَا لَا تُتَأَتَّى وَتَسْهُلُ بِغَيْرِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!}، تُنَبِّهُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقَوْلِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ } إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ المُتَقَدِّمِ:{ وَعَلَيْكُمْ }، { رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ }، أَيْ: هَذَا كَانَ رَدِّي عَلَيْهِمْ، وَالفَرْقُ بَيْنَ رَدِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- وَرَدِّ أُمِّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَزَاهُمْ عَلَى قَدْرِ فِعْلَتِهِمْ دُونَ أَنْ يُغْلِظَ عَلَيْهِمْ فِي القَوْلِ، وَأَمَّا أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَقَدْ زَادَتْ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَتِ الغِلْظَةَ هِيَ السَّبِيلَ فِي الرَّدِّ،{ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ }؛ فَأَوْضَحَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ فِي المُسْلِمِينَ إِذَا دَعَا اليَهُودُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ يَسْتَجِيبُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى اليَهُودِ.

-وَفِي الحَدِيثِ: بَيَانُ تَحَايُلِ اليَهُودِ وَتَغْيِيرِهِمْ فِي الكَلَامِ بِمَا يُوهِمُ المَعْنَى المَقْصُودَ وَعَكْسَهُ.

-وَفِيهِ: مُجَازَاةُ المُعْتَدِي بِمِثْلِ اعْتِدَائِهِ فِي القَوْلِ أَوِ الفِعْلِ، وَمُعَامَلَتُهُ بِمِثْلِ حِيلَتِهِ.

(٢) وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٥٩٢) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيِّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الخَيْرَ، أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ }.

- **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-الرِّفْقُ فِي الأُمُورِ، وَالرِّفْقُ بِالنَّاسِ، وَاللِّينُ، وَالتَّيْسِيرُ؛ مِنْ جَوَاهِرِ عُقُودِ الأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرِّفْقَ.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ مَنْ حُرِمَ -أَوْ مَنْ يُحْرَمُ- الرِّفْقَ، حُرِمَ -أَوْ يُحْرَمُ- الخَيْرَ، وَالرِّفْقُ: هُوَ لِينُ الجَانِبِ بِالقَوْلِ،

وَالفِعْلِ، وَالأَخْذِ بِالأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ العُنْفِ، وَهَذَا تَرْهِيبٌ مِنْ تَرْكِ الرِّفْقِ؛ فَمَنْ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى مَحْرُومًا مِنَ الرِّفْقِ مَمْنُوعًا مِنْهُ، فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْرُومًا مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ إِذِ الخَيْرُ لَا يُكْتَسَبُ إِلَّا بِالرِّفْقِ وَالتَّأَنِّي.

[٢٠٢٦/٠٧/٠٨ ١١:٥٠ ص] سيد عبد العاطى: -وَيَدُلُّ هَذَا أَيْضًا عَلَى أَنَّ الرِّفْقَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَسَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، وَجَالِبُ كُلِّ نَفْعٍ، وَضِدُّهُ الاسْتِعْجَالُ وَالعُنْفُ، وَهُوَ مُفْسِدٌ لِلأَعْمَالِ، وَمُوجِبٌ لِسُوءِ الأَحْوَالِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }.(آلُ عِمْرَانَ:١٥٩).

،فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَلَّا يَكُونَ المُسْلِمُ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، بَلْ يَكُونُ رَفِيقًا رَحِيمًا حَلِيمًا حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ بِحُبِّهِمْ لَهُ حَوْلَهُ.

-وَفِي الحَدِيثِ: فَضْلُ الرِّفْقِ وَالحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، وَذَمُّ العُنْفِ، وَأَنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

(٣) وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٨٢٨) مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا البَعِيرُ فَيُعْطِيهِ البَعِيرَ، وَالعَبْدُ فَيُعْطِيهِ العَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا:{ اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ }.

- **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-وَضَعَ الإِسْلَامُ دُسْتُورًا لِلرَّاعِي مَعَ الرَّعِيَّةِ، أَسَاسُهُ الرِّفْقُ بِهِمْ، وَالعَفْوُ وَرَفْعُ المَشَقَّةِ عَنْهُمْ، وَالتَّيْسِيرُ عَلَيْهِمْ لِبُلُوغِ مَصَالِحِهِمْ، وَبَيَّنَ أَنَّ الحُكْمَ وَالوِلَايَةَ مَسْئُولِيَّةٌ تَقُومُ عَلَى الجَدَارَةِ وَالكَفَاءَةِ مَعَ العِلْمِ وَالفِقْهِ.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يُخْبِرُ التَّابِعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ أَنَّهُ أَتَى إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- يَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ مَوْطِنِهِ وَبَلْدَتِهِ أَوْ عَنْ قَبِيلَتِهِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ؟ وَأَرَادَتْ بِهِ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ أَمِيرَ الجَيْشِ الَّذِي كَانَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ مُوَالِيًا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي فِتْنَتِهِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،{ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ } أَيْ: حَرْبِكُمْ، وَتَعْنِي: غَزْوَةَ مِصْرَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ غَزْوَةَ المَغْرِبِ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، أَيْ: مَا كَرِهْنَا مِنْهُ وَلَا عِبْنَا عَلَيْهِ شَيْئًا، وَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا مَاتَ جَمَلُهُ، يُعْطِيهِ ذَلِكَ الأَمِيرُ جَمَلًا بَدَلَ الَّذِي مَاتَ، وَإِذَا مَاتَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ عَبْدُهُ، يُعْطِيهِ ذَلِكَ الأَمِيرُ عَبْدًا آخَرَ بَدَلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُ، وَإِذَا احْتَاجَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ إِلَى النَّفَقَةِ وَالقُوتِ لِنَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ، يُعْطِيهِ ذَلِكَ الأَمِيرُ النَّفَقَةَ الَّتِي يَحْتَاجُهَا، فَهُوَ بِذَلِكَ رَاعٍ لِرَعِيَّتِهِ وَمُيَسِّرٌ لَهُمْ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ.

[٢٠٢٦/٠٧/٠٨ ١١:٥٠ ص] سيد عبد العاطى: -فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهَا الفِعْلُ السَّيِّئُ الَّذِي فَعَلَهُ ذَلِكَ الأَمِيرُ فِي أَخِيهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَخَاهَا مُحَمَّدًا كَانَ وَالِيًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مِصْرَ، فَلَمَّا انْتَصَرَ جَيْشُ مُعَاوِيَةَ قَتَلَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ، فَهَذَا لَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يُوجِبُ مَدْحَ ذَلِكَ الأَمِيرِ؛ فَأَخْبَرَتْ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي بَيْتِهَا:{ اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا } فَجُعِلَ وَالِيًا عَلَيْهَا فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ، أَوْ نَوْعًا مِنَ الوِلَايَةِ؛ فَشَقَّ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَاشْدُدْ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ، جَزَاءً وِفَاقًا،{ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ }، وَالرِّفْقُ: أَنْ تَسِيرَ بِالنَّاسِ بِحَسَبِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَتَسْلُكَ أَقْرَبَ الطُّرُقِ وَأَرْفَقَهَا بِالنَّاسِ، وَلَا تَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَذَا دُعَاءٌ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُيَسِّرَ اللهُ أُمُورَهُ وَيُعَامِلَهُ بِالرِّفْقِ وَالسُّهُولَةِ كَمَا عَامَلَ الرَّعِيَّةَ بِالرِّفْقِ.

-وَفِي الحَدِيثِ: يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ فَضْلُ أَهْلِ الفَضْلِ، وَلَا يُمْتَنَعُ مِنْهُ بِسَبَبِ عَدَاوَةٍ وَنَحْوِهَا.

-وَفِيهِ:أَنَّ مِنْ هَدْيِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
الرِّفْقَ بِالنَّاسِ، وَعَدَمَ الإِشْقَاقِ عَلَيْهِمْ.

-وَفِيهِ: التَّنْبِيهُ لِوُلَاةِ الأُمُورِ عَلَى السَّعْيِ فِي مَصَالِحِ الرَّعِيَّةِ، وَالجَهْدِ فِي دَفْعِ ضَرَرِهِمْ وَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَعَدَمِ الغَفْلَةِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ.

- **تَبْصِرَةٌ:**

-يُعَدُّ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ أَبْلَغِ الزَّوَاجِرِ عَنِ المَشَقَّةِ عَلَى الرَّعِيَّةِ،وَأَعْظَمِ الحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِهِمْ.

(٤) وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٥٩٤) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا، فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ، فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ... ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ }.

- **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-الرِّفْقُ فِي الأُمُورِ، وَالرِّفْقُ بِالنَّاسِ، وَاللِّينُ، وَالتَّيْسِيرُ، مِنْ جَوَاهِرِ عُقُودِ الأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا ذَكَرْتُ فِيمَا سَبَقَ ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرِّفْقَ.

-وَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الحَدِيثِ سَبَبٌ وَقِصَّةٌ، وَهُوَ مَا رَوَتْهُ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا كَانَتْ رَاكِبَةً عَلَى جَمَلٍ{ فِيهِ صُعُوبَةٌ } يَعْنِي أَنَّهُ غَيْرُ مُذَلَّلٍ وَمُطِيعٍ لِصَاحِبِهِ الرَّاكِبِ عَلَيْهِ،{ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ } أَيْ: تَمْنَعُهُ وَتَدْفَعُهُ بِشِدَّةٍ وَعُنْفٍ وَتُحَاوِلُ مَعَهُ لِلرُّكُوبِ، فَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ -أَيْ: لَا يُقْصَدُ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَيِّ أَمْرٍ- إِلَّا { زَانَهُ }، أَيْ: إِلَّا أَكْمَلَهُ وَزَيَّنَهُ، وَأَصْبَحَ مَمْدُوحًا مَحْمُودًا،{ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ }، أَيْ: وَلَا يَبْتَعِدُ عَنْ أَمْرٍ، إِلَّا { شَانَهُ }، أَيْ: عَابَهُ وَجَعَلَهُ قَبِيحًا. فَالرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ ، وَالرِّفْقُ هُوَ لِينُ الجَانِبِ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، وَالأَخْذُ بِالأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ العُنْفِ.

-وَالحَدِيثُ بَيَانٌ لِشُمُولِيَّةِ اسْتِعْمَالِ الرِّفْقِ فِي الإِنْسَانِ وَالحَيَوَانِ.

: -وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ سَبَبٌ آخَرُ لِهَذَا الحَدِيثِ؛ فَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَائِشَةَ عَلَى ذَلِكَ لَمَّا رَدَّتْ بِهِ عَلَى اليَهُودِ حِينَ اسْتَأْذَنُوا عَلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا:{ السَّامُ عَلَيْكَ } بَدَلًا مِنْ { السَّلَامُ عَلَيْكَ }، وَالسَّامُ هُوَ المَوْتُ، فَقَالَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرِّفْقِ وَعَدَمِ الغَضَبِ وَالقَسْوَةِ، فَكَأَنَّهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ لَهَا هَذَا القَوْلَ فِي حَادِثَتَيْنِ مُنْفَصِلَتَيْنِ.

-وَفِي الحَدِيثِ: فَضْلُ الرِّفْقِ وَالحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، وَذَمُّ العُنْفِ، وَأَنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

(٥) وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِرَقْمِ (٢٠١٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ }.

- **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-الرِّفْقُ وَاللِّينُ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ مِنَ الخَيْرِ العَظِيمِ، وَعَاقِبَتُهُ جَمِيلَةٌ وَمَحْمُودَةٌ، وَبِهِ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ مَا لَا يُدْرِكُهُ بِالشِّدَّةِ.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ }، أَيْ: نَصِيبَهُ مِنَ اللُّطْفِ وَاللِّينِ، وَالسَّمَاحَةِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ،{ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ }، أَيْ: مُنِعَ نَصِيبَهُ مِنَ اللُّطْفِ وَاللِّينِ، وَالسَّمَاحَةِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ، { فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ }؛ فَبِهِ تُدْرَكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ، وَبِفَوْتِهِ يَفُوتَانِ؛ لِأَنَّ عَكْسَهُ العُنْفُ، وَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ، وَلَا يَحْصُلُ بِهِ خَيْرٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الرِّفْقَ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى مَا أَعْطَاهُ مِنَ الخَيْرِ؛ إِذْ بِالرِّفْقِ يَنَالُ مَطَالِبَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

-وَفِي الحَدِيثِ: الحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ، وَأَنَّهُ أَقْصَرُ الطُّرُقِ لِلوُصُولِ إِلَى الخَيْرِ.

الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ-سيد عبد العاطى

(٦) وَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ البُخَارِيُّ بِرَقْمِ(٩٦٢٧) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(٢٥٩٣) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-

قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:{ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ }.

• **شَرْحُ الحَدِيثِ:**

-الرِّفْقُ خُلُقٌ مِنَ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ تَعَالَى، وَتَأْتِي بِالخَيْرِ لِلْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَحَقِيقَتُهُ: لِينُ الجَانِبِ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، وَالأَخْذُ بِالأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ العُنْفِ، وَالرِّفْقُ مِمَّا وَهَبَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-فِي دَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ، فَكَانَ سَهْلًا رَقِيقًا فِي تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ، وَلَوْ كَانَ سَيِّئَ الأَخْلَاقِ ذَا قَلْبٍ قَاسٍ مُتَحَجِّرٍ، لَنَفَرُوا مِنْهُ وَفَارَقُوهُ.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ تُخْبِرُ أُمُّنَا عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهَا:{ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ } فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ، يُحِبُّ أَنْ يَتَّصِفَ عَبْدُهُ بِلِينِ الجَانِبِ وَالأَخْذِ بِالسَّهْلِ؛ فَلَا يَكُونُ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، ثُمَّ أَخْبَرَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي مِنَ الجَزَاءِ وَالأَجْرِ عَلَى الرِّفْقِ وَاللِّينِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِيهِ عَلَى العُنْفِ وَالشِّدَّةِ وَالغِلْظَةِ، وَأَنَّ الجَزَاءَ وَالأَجْرَ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْ أَيِّ صِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرِّفْقَ يَأْتِي مَعَهُ مَا لَا يَأْتِي مَعَ غَيْرِهِ.

-وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ حَثَّ أُمَّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَلَى ذَلِكَ لَمَّا رَدَّتْ بِهِ عَلَى اليَهُودِ حِينَ اسْتَأْذَنُوا عَلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا:{ السَّامُ عَلَيْكَ } بَدَلًا مِنْ { السَّلَامُ عَلَيْكَ }، وَالسَّامُ هُوَ المَوْتُ، فَقَالَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:{ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ }.فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرِّفْقِ وَعَدَمِ الغَضَبِ وَالقَسْوَةِ.

-وَفِي الحَدِيثِ: فَضْلُ الرِّفْقِ وَالحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، وَذَمُّ العُنْفِ، وَأَنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ.

-وَفِيهِ: إِثْبَاتُ اسْمِ الرَّفِيقِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَصْفُهُ بِهِ.

- إِنَّ المُؤْمِنَ قَوِيُّ الإِيمَانِ رَفِيقٌ بِالمُؤْمِنِينَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، هَيِّنٌ لَيِّنٌ مَعَهُمْ فِي تَعَامُلِهِ، لَطِيفٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ، تَغْشَاهُ السُّهُولَةُ وَالتَّيْسِيرُ، وَتَمْلَؤُهُ السَّمَاحَةُ وَالسَّلَاسَةُ، وَتَكْسُوهُ البَشَاشَةُ وَالبِشْرُ، صَدْرُهُ رَحْبٌ حَتَّى مَعَ خَصْمٍ لَهُ وَجَاهِلٍ عَلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تُجَانِبُ الغِلَّ وَالحِقْدَ وَالضَّغِينَةَ، عَامِلٌ بِقَوْلِ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ سُبْحَانَهُ: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }.(الفُرْقَانُ:٦٣). وَمُتَّبِعٌ لِمَا ثَبَتَ عَنْ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ:{ إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ }.(أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ:٢٥٨٤٢ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-).

- إِنَّ الرِّفْقَ بِالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ، وَوَقْتِ العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَحِينَ السُّكُونِ وَالوَحْشَةِ، وَمَعَ الخَطَإِ وَالجَهْلِ، لَيَمَسُّ بِلُطْفِهِ قُلُوبَ الخُصُومِ، وَأَهْلَ الجَفْوَةِ وَالقَسَاوَةِ وَالقَطِيعَةِ، فَيُحَوِّلُهَا مِنْ قَسْوَتِهَا وَجَفْوَتِهَا وَبُغْضِهَا وَنُفْرَتِهَا إِلَى تَعَاطُفِهَا وَتَقَارُبِهَا وَمَحَبَّتِهَا، وَمِنْ شِدَّتِهَا وَغِلْظَتِهَا إِلَى رِقَّتِهَا وَلُطْفِهَا، وَمِنْ عَطَنِهَا وَعَطَبِهَا إِلَى سَعَتِهَا وَسَلَامَتِهَا،

- إِنَّ الرِّفْقَ بِمَعْنَاهُ الوَاسِعِ الجَمِيلِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَجَالَاتِ الحَيَاةِ، وَيَكُونُ مَعَ جَمِيعِ المُعَامَلِينَ، لَمَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَيَرْفُقُ الحَاكِمُ بِرَعِيَّتِهِ، وَالمَحْكُومُ بِحَاكِمِهِ، وَالقَاضِي فِي قَضَائِهِ، وَالمَسْؤُولُ بِمَنْ تَحْتَ مَسْؤُولِيَّتِهِ، وَالوَالِدُ بِوَلَدِهِ، وَالزَّوْجُ بِزَوْجَتِهِ، وَالجَارُ بِجَارِهِ، وَالصَّاحِبُ بِصَاحِبِهِ، وَالكَبِيرُ بِالصَّغِيرِ، وَالشَّابُ بِالمُسِنِّ، وَالأَبْنَاءُ وَالبَنَاتُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَالتَّاجِرُ بِمَنْ يَعْمَلُ لَدَيْهِ، وَالعَامِلُ بِصَاحِبِ العَمَلِ، وَالبَائِعُ بِالمُشْتَرِي، وَالمِهَنِيُّ بِمَنِ اسْتَأْجَرَهُ وَعَامَلَهُ، وَالطَّبِيبُ وَالمُمَرِّضُ وَالصَّيْدَلِيُّ بِالمَرِيضِ، وَالغَنِيُّ بِالفَقِيرِ، وَالمُدَرِّسُ بِالطَّالِبِ، وَالإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ بِبَعْضٍ، طَاعَةً للهِ سُبْحَانَهُ، حَيْثُ قَالَ آمِرًا عِبَادَهُ: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }.(البَقَرَةُ:٨٣).

- وَمِنْ أَسْوَإِ الأَخْلَاقِ، وَأَقْبَحِ الصِّفَاتِ، وَأَصْفَقِ الخِلَالِ: الفُحْشَ بِالقَوْلِ أَوِ الفِعْلِ، أَوْ فِي المُزَاحِ، أَوْ فِي الأَخْذِ وَالإِعْطَاءِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَفَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ خِلَالِ المُؤْمِنِ وَسَجَايَاهُ،

فَقَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ }.(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ:١٩٧٧، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-).، إِذْ كُلُّ تَصَرُّفٍ وَحَالٍ وَمَوْقِفٍ خَالَطَهُ الفُحْشُ فَهُوَ قَبِيحٌ وَمَذْمُومٌ شَرْعًا وَطَبْعًا وَعَقْلًا، وَشَانَ مَا قَارَنَهُ وَدَاخَلَهُ.

انتهت ولله الحمد

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية